

في نور محمد فاطمة الزهراء

كتبه الأستاذ المرحوم، وخاتمة سلسلة أعماله النجبية، والذي لم يمهله القدر في أن يرى طبعته وهي تخرج إلى النور كما خبرنا به صاحب دار نشر الزهراء في مقدمة طبعته للكتاب، وأنّه ألجّ على طباعته وأوصى بذلك قبل أن يلفّه الموت بغياهبه! لكن السؤال المثير هنا: لماذا الإلحاح على طبع كتابه «فاطمة الزهراء»؟ لماذا «فاطمة» بالذات؟ من هي فاطمة الزهراء؟ ترى من هي فاطمة؟ حقّاً أقول: من هي الزهراء؟ إنّ أيّ حديث عن هذه السيّدة الطاهرة قد يخطئ الهدف، وينحرف إلى غير ما أُريد منه إذا لم نمسك بالخيوط الأساسي في الموضوع منذ ابتداء الأمر. أعني بصراحة: أنّّه إذا لم نعرف على وجه الدقّة الإسلام بكلّ جوانبه ومراحل تاريخه المثير، ونتأمّل كلّ حلقات فصوله، فلا يمكننا – والحال هذه – أن نعرف من هي فاطمة بصورة دقيقة. فالميزان متى انضبط أتى بقراءة صحيحة ورشيّدة دون شكّ، ومتى ما اختلّ فيه شيء انعكس ذلك بصورة واضحة على قراءته، فخرجت مشوّهة وبشكل مرعب على صفحته البيضاء. وهل رأيت ميزاناً مختلفاً ينطق حقّاً؟! إنّ الحقّ إذا عُرف، وتكشّفت ملامحه بوضوح، فسوف يُعرف أهله، وستتّضح بالتالي من تشمله المظلمة، وأين تميل كفّة الميزان. والمؤرّخون المتقدّمون تمثّلت أجوبتهم على سؤالنا في صورتين: هناك من قدّسها، وثمة من لم يفعل ذلك. والاثنتان معاً – سواء كانوا عن قناعة أم لا – كانت أجوبتهما قد امتدّت عبر الأزمان والقارات. وأمّا المتأخّرون فلم يقدّموا شيئاً، بل كانت أجوبتهم لا تعدو أن تكون عمليات